العدد (1596) السنة السابعة - الثلاثاء (1) أيلول 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

... ورحلت أيقونة الديمقراطية ذات الرداء الأصفر

د. عبد الله المدني

ان المرأة التي وحدت الفيليبينيين خلفها للتخلص من الديكتاتورية، وحدتهم مرة أخرى في أوائل هذا الشهر، حينما اشتركوا جميعا في وداعها رغم كل التباينات الطبقية والانقسامات الجهوية الموجودة في مجتمعهم. والأمر الآخر الذي لا بد من الإشارة إليه هو أن كوري بقدر ما كانت شجاعة في مسيرتها الطويلة ضد الظلم والطغيان، وفي تصديها لسبع محاولات انقلابية، كانت أيضا شجاعة في مقاومتها للمرض. فهي رغم علمها منذ ٢٤ مارس ٢٠٠٨ أن أيامها باتت معدودة، فإنها ظلت حتى آخر لحظة في حياتها تشارك في الأنشطة العامة وتتردد كعادتها على الكنيسة للعبادة، وتستقبل ضيوفها، وتحرص على أن تغرس في الأجيال الجديدة قيم التصدي لكل من يحاول تغيير دستور البلاد من اجل إطالة وجوده في السلطة أو إعادة انتخابه لأكثر من فترة.

خسرت الفيليبين وجنوب شرق آسيا في الأول من أغسطس/آب الماضي امرأة حفرت لنفسها مكانا في التاريخ الآسيوي رغم دخولها المتأخر للمعترك السياسي، وتواضع مواهبها السياسية والعلمية، ناهيك عن خلو الفترة التي عاشتها داخل قصر "مالاقانيان" الرئاسي، ما بين فبراير/شباط ١٩٨٦ ويونيو/حزيران ١٩٩٢ من أية إنجازات اقتصادية أو تنموية كبرى.

والمقصود بهذه الشخصية السيدة كورازون أكينو – أو "كوري أكينو" بحسب اسمها الشعبي التي رحلت عن ٧٦ عاما بعد صراع طويل مع مرض سرطان القولون.

وهذه التي جاءت كرئيسة حادية عشرة للفيليبين، وكأول رئيسة للجمهورية في آسيا، واشتهرت بارتداء الملابس الصفراء البسيطة، لها مكانة خاصة في قلوب الفيليبينيين، رغم أنها لم تنجز لهم الكثير كما أسلفنا، وتميزت إدارتها بالضعف واتسم عهدها بحالة من اللااستقرار وكثرة الانقلابات العسكرية والعديد من الكوارث الطبيعية.

ومصدر هذه المكانة لم يكن محصورا فقط في صورتها الخارجية المتقاطعة مع صورة السواد الأعظم من نساء الفيليبين، شكلا وملبسا وتصرفا وسلوكا والتزاما دينيا، وإنما أيضا في ما مثلته كأيقونة للديمقراطية وكرمز للحرية والانعتاق من قيود الطغيان والديكتاتورية التي كبل بها سلفها الشعب الفيليبيني منذ استباقه انتخابات عام ١٩٧٣ الرئاسية بإعلان الأحكام العرفية في ٢١ سبتمبر/أيلول ١٩٧٢، علاوة على إلغاء دستور عام ١٩٣٥ الذي كان يحدد فترة الرئاسة، ربما – مثلما قيل – قطعا للطريق على بنينو أكينو الذي كان آنذاك يعتزم دخول السباق الرئاسي معتمدا على تاريخ عائلته السياسية وخبرته العملية الطويلة كسيناتور، ناهيك عن شعبية تحققت له من انتخابه في عام ١٩٥٥ عمدة لمدينة كونسيبشيون في إقليم "تارلاق"، وهو في الثانية والعشرين من العمر.

إلى ذلك نظر فيليبينيون كثر إلى كوري على أنها تجسيد رائع للزوجة الوفية التي تواصل رسالة زوجها وتحمل اللواء من بعده دون خوف أو وجل من تبعات هكذا عمل في ظل نظام أرعن يعيش على عصاته الأمنية وعيونه الاستخباراتية، بل وجد فيها الكثيرون أيضا نموذجا للأم التي لا تتخلى عن واجباتها الأسرية تجاه أبنائها رغم كل مشاغلها الرسمية ومسؤولياتها العامة، خصوصاً أن تلك المسؤوليات كانت وقت وصولها إلى سدة الحكم كبيرة ومرهقة بسبب ما تركه سلفها الديكتاتور "فرديناند ماركوس" وزوجته "ايميلدا" وبطانتهما وراءهما من مشاكل وفساد وتسيب وديون عامة وانقسامات داخلية.

وربما لولا حماقة ماركوس في التخلص جسديا من خصمه ومنافسه اللدود "بنينو أكينو" زوج السيدة كوري والسناتور السابق ما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨٣، أي باغتياله في ٢٣ أغسطس/آب ١٩٨٣ قبل أن تطأ قدماه أرض بلاده التي كان عائدا إليها من المنفى الأمريكي، لما خرجت كوري من مطبخها لتصبح بين عشية وضحاها زعيمة سياسية تقود الجماهير في الميادين والساحات وتلهب حماستهم وتزرع فيهم روح التحدي والانتقام من مقتل كبير معارضي الحكم الديكتاتوري، بل وتستقطب إلى جانبها أيضا رموز الكنيسة الكاثوليكية النافذة وقسما معتبرا من جنرالات وعناصر الجيش والشرطة ممن ساهموا معا في ما عرف بثورة قوة الشعب في عام ١٩٨٦ والتي أعادت وضع الفيليبين على سكة الديمقراطية، وفصلت لها دستورا جديدا دائما يضمن الحريات المدنية ويحدد ملامح المؤسسات الديمقراطية، تلك الثورة التي لا نبالغ لو قلنا أنها ألهمت بدورها أمما أخرى كانت تعيش أوضاعا مشابهة للوضع الفيليبيني تحت حكم ماركوس.

نعم! لقد أبت كوري طوال سنوات من ارتباطها بالسيناتور المعارض "بنينو أكينو" أن تنغمس في عالم السياسة، مكتفية بتحضير الطعام والقهوة وتهيئة منزلها لاستقبال حلفاء زوجها من السياسيين، بل قيل أن كوري لم تكن تشارك في حملات زوجها الانتخابية مفضلة الجلوس خلف الكواليس والإنصات لما كان يتفوه به. غير أن هذا الإصرار على الابتعاد عن عالم كان زوجها منغمسا به حتى النخاع، بدأ ينحسر ببطء حينما اضطرت كوري – بسبب حالات الملل التي نمت عنها من العيش في أرياف تارلاق من بعد سنوات الإقامة كطالبة في الولايات المتحدة – إلى مرافقة زوجها ورفاقه السياسيين إلى ولائم العشاء في نادي قاعدة كلارك العسكرية الأمريكية، وبالتالي مشاركتهم حواراتهم عن القضايا السياسية المحلية والخارجية.

بعد ذلك، كانت المرة الوحيدة التي خاضت فيها كوري السياسة علانية وعلى مرأى من الجماهير، هي في عام ١٩٧٨، وذلك حينما خاطبت الجماهير في حملات انتخابية لصالح زوجها الذي كان معتقلا وقتذاك، لكنه كان مصرا على دخول السباق الانتخابي.

ولدت ماريا كورازون سومولونغ كوجوانغكو أكينو في ٢٥ يناير/كانون الثاني ١٩٣٣ لعائلة ثرية من أصول صينية وأسبانية وفيليبينية مختلطة، وكانت كوري هي الطفل السادس لتلك العائلة التي حرصت على إرسال أطفالها إلى أفضل المدارس، وهكذا أرسلت كوري أولا إلى كلية سانت تشولاستيكا في مانيلا حيث أنهت دراستها في عام ١٩٤٣ بتفوق ملفت للنظر، وأرسلت ثانيا، وتحديدا في عام ١٩٤٦ للانخراط لمدة عام واحد في مدرسة كنسية كاثوليكية في مانيلا، وأرسلت بعد ذلك إلى الولايات المتحدة للالتحاق بأكاديمية "رافينهيل" في بنسلفانيا، فمدرسة "نوتردام الكنسية في نيويورك، فكلية مونت سانت فينسينت في نيويورك أيضاً.

وقبل تخرجها في عام ١٩٥٣ وحصولها على بكالوريوس آداب اللغة الفرنسية، وشهادة في طرق تدريس الرياضيات – حيث كان منتهى طموحاتها وقتذاك أن تعود إلى الفيليبين لتعمل مدرسة للفرنسية والرياضيات – تطوعت كوري للعمل مع حملة المرشح الجمهوري "توماس ديوي" الذي كان يخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام ١٩٤٨ ضد المرشح الديمقراطي "هاري ترومان"، فكسبت شيئا من الخبرة التي ستوظفها لاحقاً للفوز برئاسة الجمهورية في بلدها، لكن قبل ذلك مرت سنوات درست خلالها كوري القانون في جامعة الشرق الأقصى المملوكة لعائلة زوج أختها الكبرى "جوزفين"، قبل أن تترك الجامعة في عام ١٩٥٤ لتتزوج من "بنينو سيرفيلانو أكينو جونيور" ابن الرئيس الأسبق للجمعية التشريعية والذي أنجبت له ابنا سار على درب أبيه فانتخب كسيناتور في عام ٢٠٠٧، وأربع بنات هن: ماريا ايلينا كروز، و أوروا كورازون أبيلادا، و فيكتوريا ايليزا دي، و الممثلة ومذيعة التلفزيون "كريستينا برناديت ياب".

لقد جاءت موافقة الديكتاتور ماركوس على خروج بينينو أكينو وأسرته من الفيليبين إلى المنفى الأمريكي في عام ١٩٨٠ تحت ضغوطات إدارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وعلى اثر ذلك اختار نينو وكوري وأسرتهما الاستقرار في مدينة بوسطون. تلك المدينة التي قالت كوري عنها فيما بعد أنها قضت فيها أجمل سنوات زواجها وعمرها.

ويبدو أن نينو على العكس من زوجته لم يطق الابتعاد طويلا عن وطنه رغم كل المغريات التي توفرت له في بوسطون، فقرر بعد ٣ سنوات من الإقامة والعلاج في الأخيرة، وتحديدا في ٢١ أغسطس/آب ١٩٨٣ أن يطير عائدا إلى مانيلا دون أسرته، ليغتال بمجرد ملامسة قدميه أرض مطار مانيلا الدولي الذي أطلق عليه لاحقا اسم "مطار بنينو أكينو" تخليدا لذكراه وتضحياته من اجل حرية شعبه.

أما كوري وأبناؤها فلم يعودوا إلى الفيليبين إلا بعد اغتيال نينو بعدة أيام من اجل المشاركة في جنازته والتي شارك فيها أكثر من مليوني فيليبيني، وعدت من أكبر الجنازات في تاريخ الفيليبين.

فيما خص التطورات التي سبقت فوزها برئاسة الفيليبين، لوحظ أنها في البداية كانت زاهدة في المنصب رغم إلحاح الكثيرين – ولاسيما من تايكونات المال والأعمال – عليها بالترشح في انتخابات فبراير/شباط ١٩٨٦ التي دعا إليها ماركوس فجأة في عام ١٩٨٥ للهروب من تدهور شعبيته ونفوذه، وذلك بحجة أنها الوحيدة القادرة على توحيد الشعب خلفها لطرد ماركوس، وقتها كان مرشح المعارضة الأبرز هو السيناتور سيلفادور لوريل ابن أحد رؤساء الفيليبين السابقين، وهذا ماطل طويلا قبل أن يسحب ترشيحه لصالح أكينو، وقبل أن يوافق على ترشيح نفسه لنيابة الرئاسة على قائمة الأخيرة.

وفي انتخابات سادتها أعمال العنف والتزوير والتهديد والحرب النفسية و اتهام المعارضة بالتعاون مع الشيوعيين (من قبل رجال وأنصار ماركوس)، بل سبقها أيضا خطاب غير مألوف على لسان ماركوس الذي استهزأ بكوري وأعلن أنها "مجرد امرأة لا تصلح إلا للفراش" سارع المتنافسان الرئيسيان (ماركوس وكوري) إلى الإعلان عن فوزهما وسط تضارب النتائج وتباين إعلانات اللجان الانتخابية. فبينما كانت مصادر ماركوس تعلن في ٧ فبراير/شباط ١٩٨٦ عن فوز الأخير، كانت كوري ترفض تلك المزاعم وتهدد بالعصيان المدني ومقاطعة الأعمال والشركات التابعة لآل ماركوس وحلفائهم، وإنزال الجماهير إلى الساحات والطرقات، ورفض اقتسام السلطة مع ماركوس – بحسب اقتراح الموفد الأمريكي إلى مانيلا "فيليب حبيب".

ولعل ما قلب الأمور رأسا على عقب لصالح كوري ليس فقط وقوف رأس و أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى جانبها، وتنديد الإدارة الأمريكية بنتائج الانتخابات التي أعلنها ماركوس، وإنما أيضا ما حدث في ٢٢ فبراير/شباط ١٩٨٦ والذي يعتبر يوما مفصليا في ثورة قوة الشعب. ففي ذلك اليوم أعلن اثنان من كبار أنصار ماركوس (وزير الدفاع خوان بونسيه انريلي ونائب رئيس أركان الجيش فيدل راموس) تمردهما عليه وانحيازهما إلى الشعب، مع اعتكافهما في قاعدتين عسكريتين في كويزون سيتي، حيث تجمعت الجماهير بقيادة كوري وبدعوة من الكاردينال "جيمي سين" بهدف عمل درع بشري يحول دون اقتحام قوات ماركوس للقاعدتين. ويمكن ملاحظة مدى أثر هذا الحدث على مجريات الأمور من أنها مهدت الطريق لكوري كي تقف في صبيحة يوم ٢٥ فبراير/شباط ١٩٨٦ في "كلاب فلبينو" في سان خوان لتؤدي اليمين الدستورية رئيسة للبلاد أمام قاضي قضاة المحكمة العليا، فيما كان ماركوس يؤدي وحيدا نفس القسم بالتزامن في قصر "ملاقانيان"، لكن ليقرر الهرب من غضبة الشعب إلى هاواي عشية اليوم نفسه مصطحبا معه زوجته وأبناءه.

هل أصبح تلوّث البيئة العراقية قضية منسية؟

د. عماد علو

المقدمة

لم يعد الإعلان عن اكتشاف مواقع عراقية ملوثة باليورانيوم المنضب يثير الكثير من الاهتمام في وسائل الإعلام العراقية، برغم أن المعلومات التي تعلنها وزارة البيئة العراقية من فترة إلى أخرى تشير بالدليل القاطع الى وجود مناطق ملوثة في بغداد والبصرة خصوصا ومناطق أخرى من العراق بشكل عام، منذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ عندما ضرب العراق بأكثر من (٩٤) ألف قذيفة من القذائف المطلية باليورانيوم المنضب أو المستنفد باللغة العلمية العالمية أي ما يعادل تقريبا (٣٠٠) طن من اليورانيوم المنضب ما أدى إلى تلوث البيئة العراقية ولم يعلن حتى الآن عن عدد القذائف أو كمية المتفجرات التي ضرب بها العراق منذ عام ٢٠٠٣ وحتى الآن. الغريب في الأمر أن التقارير الأمريكية أشارت إلى استخدام مثل هذه القذائف لكنها لم تعترف بأنها محرمة دولياً؟.. والسؤال المطروح اليوم هل العراقيون أصبحوا يتمتعون بحصانة ومناعة ضد التلوث الإشعاعي باليورانيوم المنضب وما يخلفه من آثار سلبية على الصحة العامة والبيئة في العراق؟

موقف المنظمات الدولية

تشير تقارير منظمة الصحة العالمية انه بسبب الحروب في العراق وكميات الأسلحة الكبيرة المستخدمة والتي تحتوي على اليورانيوم المنضب فإن أمراض السرطان انتشرت بكثرة ولاسيما في محافظة البصرة ونلاحظ أن سرطان الدم (اللوكيميا) لدى الأطفال زاد بنسبة ٢٤٪ وهي نسبة تعتمد على إحصائيات لفترة معينة فحجم الكارثة في العراق أصبح خطراً جداً، وأكد خبراء منظمة الصحة العالمية من العينات والتقارير المرصودة والموجودة في العراق، أن حالات الإصابة بالسرطان في ازدياد وذلك مؤشر كبير على التلوث الذي حصل بعد استخدام الأسلحة المحرمة دولياً منذ عام ١٩٩١ حتى حدوث الاحتلال عام ٢٠٠٣ حيث تعرضت الكثير من المناطق والمدن العراقية إلى الاستهداف بالمواد المشعة من خلال انفجار القنابل والصواريخ التي سقطت فوقها. يشار أن منظمة الصحة العالمية تتلكأ في إعلان نتائج المسوح التي قامت بها في العراق وهو الوضع الذي زاد من الاتهامات الموجهة لها نتيجة تأثرها بالموقف الأمريكي.

والجدير بالذكر أن خبراء ألمان (منهم البروفسور سيكورارت هرست كنذر- رئيس الصليب الأصفر الدولي) شاركوا في ندوات في العراق أكدوا أن نسبة التلوث في البيئة العراقية تجاوز المعدلات الطبيعية بأرقام كبيرة جداً الأمر الذي أدى إلى العديد من المخاطر على حياة الكائنات الحية ومنها الإنسان، وكانت تقارير وزارة الصحة العراقية السابقة قد أشارت إلى أن الانتشار الكبير للأمراض السرطانية وكذلك التشوهات الخلقية في الولادات العراقية وإصابة العديد من العراقيين بالعمى المفاجئ يعود بالدرجة الأساسية إلى هذه الملوثات، بل إنها دعت إلى القيام بحملة دولية لتنظيف البيئة العراقية.

ويتحدث البلاغ الصحفي الصادر عن برنامج الأمم المتحدة للبيئة، عن إستراتيجية لحماية السكان والبيئة في عراق بعد الحرب، حيث صدر البلاغ في جنيف في٢٤ نيسان ٢٠٠٣، وهو يقدم التصور الجديد عن الظروف البيئية في العراق، ويؤكد البلاغ ضرورة اتخاذ تدابير عاجلة للتصدي للقضايا الإنسانية، حيث ينبغي أن تشتمل الأولويات على إعادة القدرة على الإمداد المائي وإعادة تشغيل نظم التصريف والمجاري وتنظيف المواقع الشديدة التلوث المحتملة وتنظيف مواقع النفايات بغية الحد من خطر انتشار الأوبئة بسبب تراكم نفايات البلديات والنفايات الطبية، وطالب البلاغ بأن يحظى نشاط آخر بالأولوية وهو العمل على إجراء تقييم علمي عن المواقع التي تعرضت للقصف بالأسلحة التي يدخل في صناعتها اليورانيوم المستنفد، كما أوصى التقرير بتعميم خطوط توجيهية على الموظفين العسكريين والمدنيين وكذلك على عامة الجمهور المستهدف والتوعية حول كيفية التقليل إلى أقصى حد من خطر التعرض العرضي لليورانيوم المستنفد، ويرى (كلاوس توبفر) المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، أن حماية البيئة في العراق قضية إنسانية، أن المخاطر البيئية لا تهدد صحة الإنسان ورفاهيته فحسب، بل يمكنها أن تعرقل العمليات المعنية بتقديم المساعدات وكذلك من الضروري القيام بإعمال إضافية لضم حماية البيئة في العملية الأوسع نطاقاً والتي تشمل كلاً من التنظيف وإعادة البناء في مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق.

التلوث وارتفاع درجات حرارة البيئة العراقية

كما اشرنا سابقاً" أن القوات الأميركية ضربت العراق في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ بأكثر من (٩٤) ألف قذيفة من القذائف المطلية باليورانيوم المنضب أو المستنفد باللغة العلمية العالمية ما أدى إلى تلوث البيئة العراقية وامتد هذا التلوث إلى الدول المجاورة، وفيما يتعلق بأحداث الحرب الأخيرة التي شنتها القوات الأميركية على العراق حيث قامت مرة أخرى باستخدام أسلحة ملوثة باليورانيوم المنضب عندما بدأت غزوها العراق عن طريق ميناء أم قصر جنوب العراق في الثامن عشر من مارس/آذار من عام ٢٠٠٣، حيث إن الإشعاع الناتج عن اليورانيوم المنضب الموجود في الأسلحة التي استخدمتها القوات الأمريكية الغازية في قصف بغداد والمحافظات العراقية وخاصة البصرة في الجنوب سبب الكثير من التخريب للبيئة و للإنسان وكذلك النبات والحيوان فكل هؤلاء تأثروا تأثيراً بالغاً من خلال كثرة الإصابة بأمراض التشوهات الخلقية وكثرة حالات الإجهاض لدى النساء، وعليه فقد ترتب على استخدام أمريكا لأسلحة تحتوي على يورانيوم منضب إلى ما يلي:

- تلوث البيئة العراقية بشكل كامل.
- توسع الثقب في طبقة الأوزون حول بغداد بسبب زيادة نسبة غاز (CO_2) ثاني اوكسيد الكاربون.
- ارتفاع درجة الحرارة في العراق بصورة كبيرة جداً حيث أصبحت في بغداد أعلى درجة حرارة في العالم.

لذلك تعتبر القوات الأمريكية هي المسبب الرئيسي لتلوث البيئة وهي السبب الرئيسي لأحداث السلب والنهب في موقع التويثة النووي لأنها وقفت تتفرج ولم تفعل أو تمنع أي شيء في سبيل عدم حصول الكارثة النووية بعد أحداث التاسع من ابريل / نيسان عام ٢٠٠٣م.

حقّ التعويض

استنادا لما ذكر آنفاً وهو النزر اليسير من المعطيات الحقيقية لواقع الكارثة الإنسانية والبيئية التي يعاني منها المجتمع والبيئة العراقية التي بات عليهما التعايش مع جو سيبقى ملوثا إشعاعيا لسنوات طويلة قادمة.. فان من حق العراق حكومة ومنظمات مجتمع مدني وأفراداً ممن تضرروا أو قد يتضررون مستقبلا ،المطالبة بالتعويضات القانونية التي تقرها القوانين والشرائع الدولية عما لحقهم والبيئة العراقية من أضرار جسيمة وقاتلة وفتاكة من جراء الممارسات الأمريكية والاستخدام المفرط لهذا الكم الهائل من الأسلحة المحرمة دولياً أو تلك التي ألحقت الضرر بالبيئة العراقية وبالتالي بالإنسان العراقي.

إن الجهات العراقية ذات العلاقة مثل وزارة الصحة ووزارة البيئة ووزارة الداخلية مسؤولة عن وضع البيانات وتأمين المعلومات التي تحدد حجم الكارثة البيئية التي تسببت بها قوات الاحتلال ومطالبة حكومات الدول المحتلة بالتعويضات التي تتناسب مع ما لحق بالعراق من أضرار بيئية جسيمة.

البيئة العراقية الملوثة

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com